شرح

العقيدة الطحاوية

للإمام الشيخ

أبي جعفر بن محمد بن سلامة الطحاوي

- رَحِمَهُ اللَّهُ -

شرح فضيلة الشيخ

محمد النورستاني

- حفظه الله -

فهرس الدرس:

١ – مقدِّمة:

٢- شرحُ قول المصنف: "**وَإِنَّ مُحَمَّدًا – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – عَبْدُهُ الْمُصْطَفَى**":

٣- شرح قول المصنف: "**عبدُه المصطفى، ونبيُّه المجتبى، ورسولُه المرتضى**":

٤- جمعُ النبي – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – بين النبوة والرسالة:

٥- معنى كلمة النبي:

٦- الفرقُ بين الرسول والنبي:

٧- بِمَ تثبت النبوة أو الرسالة؟

٨- ما هي المعجزة؟

٩- ذكرُ بعضِ الآيات والبراهين التي تدل على صدقِ الأنبياء والرسل:

١٠- ما هي العادة التي تُخرَق بالمعجزة؟

١١- الأشاعرة وإنكارُ السَّببية:

١٢- شرحُ قول المصنف: "**وإنه خاتم الأنبياء**":

١٣- معنى كلمة الخاتِم:

١٤- ذكرُ بعضِ الأدلة على أن النبي محمد – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – هو خاتم الأنبياء:

١٥- الإيمانُ بانقطاع الوحي من السماء:

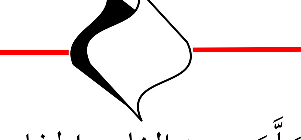
١٦- أشهرُ مَنِ ادَّعى النبوة في العصور المتأخرة:

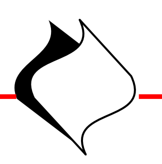
١٧- شرح قول المصنف: "**وإنه خاتم الأنبياء، وإمام الأتقياء**":

١٨- شرح قول المصنف: "**وسيد المرسلين**":

١٩- الردُّ على بعض الأحاديث المشكلة في تفضيل النبي – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – على غيره من الأنبياء:

٢٠- شرحُ قول المصنف: "**وحبيب رب العالمين**":





على خير الأنبياء والمرسلين، نبينا محمد وعلى آله وصحبه والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين؛ أما بعد:

اللّهم اغفر لشيخنا وللحاضرين.

(المتن)

قال الإمام الطحاوي - رَحِمَهُ اللَّهُ - : "**وَإِنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ الْمُصْطَفَى وَنَبِيُّهُ الْمُجْتَبَى وَرَسُولُهُ، وأنه خاتم الأنبياء وإمام الأتقياء وسيد المرسلين وحبيب رب العالمين، وكل دعوى النبوة بعده فغي وهوى، وَهُوَ الْمَبْعُوثُ إِلَى عَامَّةِ الْجِنِّ وَكَافَّةِ الْوَرَى بالحق والهدى وبالنور والضياء**". اهـ

(الشرح)

١- مقدِّمة:

بسم الله الرحمن الرحيم، أحمده ونصلي على رسولنا الكريم؛ أما بعد:

في هذه الفقرات تحدث الإمام الطحاوي - رَحِمَهُ اللَّهُ - عن الركن الثاني من أركان الإيمان وهو الإيمان بالرسل.

والإيمان بالرسل والأنبياء منه ما يكون عامًّا وهو الإيمان بنبوة جميع الأنبياء ورسالة جميع الرسل عليهم الصلاة والسلام.

ومنه ما يتعلق بنبينا محمدٍ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -، والحديث فيه فرع عن الحديث في هذا الركن العظيم؛ الإيمان بالرسل.

وسبق أن ذكرنا مرارًا أن المباحث في هذا الكتاب ليست مرتبة كلها؛ من ذلك حديثه أيضًا عن هذا الركن ليس مرتبًا وإنا هو مفرق في عدد من المواضع، منها هذا الموضع.

٢- شرحُ قول المصنف: "وَإِنَّ مُحَمَّدًا - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - عَبْدُهُ الْمُصْطَفَى":

قال فيه: "**وَإِنَّ مُحَمَّدًا - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - عَبْدُهُ الْمُصْطَفَى**".

الواو هنا عطف على قوله السابق: "**نَقُولُ فِي تَوْحِيدِ اللَّهِ مُعْتَقِدِينَ بِتَوْفِيقِ اللَّهِ إن الله واحد لا شريك له**".



نقول: إن الله واحد لا شريك له، وإن محمدًا - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - عبده المصطفى، فلذلك يجب كسر إنَّ؛ لأن مقول القول دائمًا إذا كانت إنَّ في مقول القول تكون مكسورة.

"**وإن محمدًا - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - عبده المصطفى**" هنا ذكر أوصافًا كثيرة لنبينا محمدٍ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -، وكلها مأخوذة من النصوص، مختصرة من النصوص، وأولُّ وصفٍ هو أن النبي - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - عبده هذا كما في الشهادة: وأنَّ محمدًا عبد الله ورسوله.

كونه عبدًا لله هذا قُدِّم حتى على الرسالة؛ لأن النبي - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - فغالبًا مظنة الإفراط بالنسبة لأمته، بما أننا أمةُ محمدٍ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - فغالبًا هو مظنة الإفراط من قبل أمته؛ لأن كثيرًا من الناس أو بعض الناس يزعم أن الإفراط في محبته وفي مدحه وإعطاءه كل مكانة يتخيلها قد يظن أن هذا هو الأدب معه، وبذلك يكون قد خالف أصول الإسلام.

أحيانًا هذا يخرجه إلى الشرك، ولذلك أول وصف يُوصف به النبي - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - أنه عبد الله، وليس له من أوصاف الإلوهية والربوبية شيء، فهو عبد من عباد الله أكرمه الله - تَبَارَكَ وَتَعَالَى - بالرسالة.

٣- شرح قول المصنف: "عبدُه المصطفى، ونبيُّه المجتبى، ورسولُه المرتضى":

لذلك قال: " **عبدُه المصطفى، ونبيُّه المجتبى، ورسولُه المرتضى** ". الاصطفاء، والاجتباء، والارتضاء، كلها ألفاظ متقاربة.

الاصطفاء: هو الاختيار. والاجتباء: هو الاختصاص، والألفاظ الثلاثة كلها متقاربة، يشير فيها الإمام الطحاوي إلى مسألتين:

المسألة الأولى: وصف النبي - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - بهذه الأوصاف.

والمسألة الثانية: أن النبوة التي أُعطيها هذه اصطفاءٌ واجتباء من الله عز وجل، لمْ ينلها بكسبه كما ذهب إليه المتفلسفة ومَن نحا نحوهم من المتصوفة الغلاة، الذين يرون أن النبوة كسبٌ يناله العبد بأنواع من الرياضات التي يفعلها، ويتعاهد نفسه بها، ولذلك يقولون: ينال النبوة؛ لأنها ليست مسألة اصطفاء بل مسألة كسبية عندهم، النبوة كسبية ينالها العبد ببعض أنواع الرياضات، وهذا كفر يخرج من الملة.

والنبوة والرسالة اصطفاء.

يقول: " **وإنَّ محمدًا عبدُه** " لمْ يقل: وإنَّ سيدنا محمدًا عبده المصطفى، مع أن النبي – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – هو سيد المرسلين كما ذكره المؤلف، وهذا الذي ذَكَرَه ذِكْرُه مجرَّدًا من وصفِ السيادة في هذا المقام هو الذي يجب أن نسلكه، وهكذا ورد في الآثار والأحاديث، وهذا هو الأدب، واعتبار الآثار والأحاديث في مثل هذه الأمور هو السنة وهو الأدب.

٤– جمعُ النبي – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – بين النبوة والرسالة:

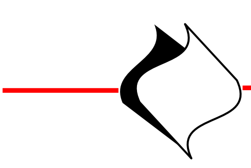
" **وإنَّ محمدًا عبدُه المصطفى، ونبيُّه المجتبى، ورسولُه المرتضى** " هنا بعد ذكره أنه عبدٌ لله عز وجل، ذكر أنه نبي، وذكر أيضًا أنه رسول.

هذا يدل على أن النبي – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – جمع بين النبوة والرسالة، وهذا هو الصحيح في أن النبي – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – جمع بينهما، والصحيح أيضًا في أن هناك فرق بين النبوة والرسالة.

٥– معنى كلمة النبي:

النبي هذه الكلمة التي وردت في القرآن فيها قراءتان سبعيتان: قراءة بالنبي بالياء، وهذه قراءة عاصم التي نقرأها نحن، وهناك قراءة النبي النبيء بالهمزة، وأشهر مَن يقول بها نافع.

والنبي بالياء مأخوذ من النبوة، والنبوة هو المرتفع من المكان.



والنبيء بالهمزة من النبوءة.

مع أن هناك فرق لغةً إلا أن شرعًا النبي والنبيء ليس بينهما فرق شرعي، وكل المعنين حاصلان في الأنبياء، فبما أن الأنبياء يُنبَّؤون ويُوحى إليهم وهم مصطفون بذلك هم مرتفعون قدرًا على غيرهم.

فكلا المعنين حاصلان في الأنبياء والرسل سواء كان مأخوذًا من النبي بالياء أو من النبوءة؛ نبَّأ، ينبِّئ، نبوءةً من الإنباء فهم مُنبَّؤون؛ مُوحَى إليهم، وهم أيضًا رفيعوا المنزلة والقدر بهذا الوحي.

٦- الفرقُ بين الرسول والنبي:

"**ورسوله المرتضى**" هل هناك فرق بين النبي والرسول؟ هذه المسألة يذكرها المؤلفون في العقائد عمومًا، في ذلك ثلاثة أقوال، الفرق بين النبي والرسول فيه ثلاثة أقوال:

القول الأول: ليس بينهما فرق.

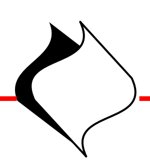
القول الثاني: بينهما فرقٌ ولكن الأنبياء أرفع من الرسل، وهذا مذهب الصوفية.

هذا مذهب الصوفية يرون أن الولاية أرفع المقامات يليه الرسالة ثم يليه النبوة ثم الرسالة. فعندهم عكس ما هو الصحيح.

القول الثالث -وهو قول الجمهور-: إن بينهما فرق، إن الرسول أعلى منزلته أعلى من النبوة من النبي.

على القول بأن بينهما فرقًا، ما هو الفرق بين النبي والرسول؟.

أشهر الأقوال في ذلك ما ذكره ابن عبد العز - رَحِمَهُ اللَّهُ - في شرح هذه العقيدة أن الفرق بين النبي والرسول أن النبي يُوحى إليه ولكنه لا يُؤمر بتبليغه إلى غيره، النبي يُوحى إليه كما أن الرسول يُوحى إليه ولكن النبي لا يُؤمر بالتبليغ، والرسول يُوحى إليه ويُؤمر بالتبليغ.



طبعًا هذا القول بهذا الإيجاز وبهذا الإجمال فيه يعني لا يخلو من اعتراضات؛ لأن النبي إذا كان يُوحى إليه ثم لا يُؤمر بالتبليغ فلماذا أُوحى إليه؟ .

يقول هنا: (وقد ذكروا فروقًا بين النبي والرسول ، وأحسنها أن من نبأه الله بخبر السماء، إن أمره أن يبلغ غيره، فهو نبي رسول).

أُوحى إليه وأُمر بتبليغه إلى غيره.

(وإن لم يأمره أن يبلغ غيره، فهو نبي وليس برسول).

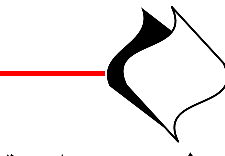
كما قلتُ: هذا الإيجاز وهذا الإجمال يعني قد لا يُسلم هذا الفرق؛ لأن النبي ما دام أنه أُوحي إليه، فلماذا أُوحي إليه؟! هل لنفسه فقط؟ ***هذه حالة.***

الحالة الثانية أنه لنفسه ولغيره. هذا الكلام فسّره بعض المشايخ كما في الإيمان بالرسل للشيخ صلاح الدين مقبول، يقول: إنْ أمره أن يبلغ غيره -أي من المخالفين، بهذا القيد يصف- وإن لم يأمره أن يبلغ بل يقوم بالدعوة فيمن عنده من المؤمنين.

بهذا القيد يصح هذا التفريق.

الخلاصة أن النبي مَن أُوحي إليه وأُمر بالتبليغ فيمن عنده من المؤمنين؛ لأن الأنبياء هم يُوحى إليهم بشريعة مَن قبلهم، أما مَن أُمر بتليغ لغيره من المخالفين فهذا رسول.هذا أشهر الأقوال.

أفاض شيخ الإسلام ابن تيمية في ذكر الفروق بين النبي والرسول، وخلاصة ما ذكره أنه ليس بينهما فرق في الإيحاء، كلاهما يُوحى إليه. ليس بينهما أيضًا فرق في الإرسال، كلاهما مرسلان، يقول الله عز وجل: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّا إِذَا تَمَنَّى أَلْقَى الشَّيْطَانُ فِي أُمْنِيَّتِهِ﴾ [الحج: ٥٢]. كلاهما مرسلان مع ذلك خُص الرسول بهذا الاسم مما يدل على أن له خصوصية في الإرسال.



ليس بينهما فرق في الإيحاء، وليس بينهما فرق في وقوع الإرسال، وليس بينهما فرق أيضًا في الكتاب؛ لأن كثيرًا من الناس يقولون أيضًا: إن من الفروق بينهما أن الرسول يُرسل بكتاب مستقل والنبي لا يُرسل بكتاب مستقل بل يُرسل بكتب مَن سبقه.

شيخ الإسلام يقول: هذا أيضًا ليس فرقًا؛ لأن بعض الرسل أُرسلوا بكتب مَن قبلهم؛ كيوسف عليه السلام ومن أنبياء بني إسرائيل أُرسل بكتب مَن قبله.

الرسول قد يُعطى كتابًا جديدًا وقد يُرسل بكتب مَن قبله.

الفرق بينهما يتمحور في المرسلين، الرسول يُرسل إلى قوم مخالفين، وإذا أُرسل إلى قوم مخالفين يصدقه بعضهم ويكذبه بعضهم، أما النبي فلا يُرسل إلا فيمن جاءهم نبي قبلهم أو رسول قبله، كأنبياء بني إسرائيل كُثُر، عددهم لا يعلمه إلا الله عز وجل، كلهم كانوا يأتون بكتاب موسى، أنبياء بني إسرائيل، فلذلك قال النبي - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -: «**وإن العلماء ورثة الأنبياء**»؛ لأنهم ما يأتون بجديد، هم مثل أنبياء بني إسرائيل لا يأتون بجديد، وإنما دورهم هو تجديد الدين الذي جاء به الرسول.

هذه من الفروق بين القول في الفرق بين النبي والرسول.

إذًا إيتاء الكتاب ليس له مدخل في وصف النبوة أو الرسالة.

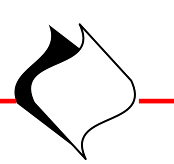
٧- بِمَ تثبت النبوة أو الرسالة؟

هنا نذكر أيضًا مسألة وهي: بمَ تثبت النبوة والرسالة؟ أو ما هي الأدلة بها يُعرف النبي والرسول؟ وما هي قرائن صدقهم أدلة صدقهم؟.

هذه المسألة فيها أقوال كثيرة، ولكن الأقوال المعروفة ثلاثة:

القول الأول: قول ليس للمسلمين، قول المتفلسفة، ولو أخذ به بعض مَن ينتسب إلى الإسلام، هذا القول ليس للمسلمين، أن النبوة كسبية، ويذكرون أن الفرق بين الأنبياء والرسل أن الأنبياء والرسل يتميزون بثلاثة أمور:

- أمرٌ يتعلق بالسمع.



- وأمرٌ يتعلق بالبصر.
- وأمر يتعلق بالقلب.

أمر يتعلق بالسمع: من قوة هذه الأداة عندهم يسمعون أصواتًا لا يمكن أن يسمعها الرجل العادي، فلذلك قد يتوهم أن هناك مَن يقول له كذاو كذا، فيستوعبه بهذه القوة.

وأيضًا قوة في البصر: قد يرى أشياء لا يراها الرجل العادي.

وقوة ترجع إلى القلب يعني يتخيل أمورًا لا يستوعبها لا يستطيعها الرجل العادي.

وكل هذه الأمور التي ذكروها هي علامات المجانين! كلها علامات المجانين الذي يظن أنه يرى شيئًا الآن بيننا لا سمح الله. لو واحد يقول: هنا شيء، إيش نقول له؟ نقول: به مس من الـ..

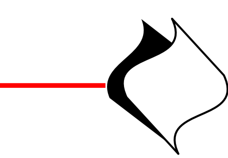
وكذلك الذي يقول الآن: أسمع شيئًا وهو هكذا،، قد يكون حقيقي، الشيطان يلقي عليه، وقد يتخيل ويكون قد اعتاد هذه الخرافات، ويتخيل أمورًا أيضًا هي ليست من الحقيقة في شيء.

فكل هذه العلامات التي ذكروها هي علامات المجانين، هي ليست علامات العقلاء فضلًا عن علامات الأنبياء.

هذا قول مَن؟ قول المتفلسفة، وللأسف دائمًا نجد معهم بعض المتكلمين، بعض المشاهير من المتكلمين، ذكروا هذا القول ولا حاجة لذكر أسمائهم.

هذا كما قلتُ لكم ليس قول من المليين وإنما هو قول،، إذا قلنا: المليين، فهذا يشمل اليهودي والنصارى، فهذا القول ليس قول المليين عمومًا الذين ينتسبون إلى أي ملة.

القول الثاني: قول الأشاعرة، جمهور الأشاعرة يرون أن النبوة والرسالة لا تثبت إلا بالمعجزة، والمعجزة هي طريق وحيد لإثبات النبوة والرسالة.



هذا عند مَن؟ عند الأشاعرة، وهذا القول كما قلتُ قول الجمهور، ذكره الجويني، وذكره الباقلاني قبله وذكره مَن بعدهم، ذكروا أن الطريق الوحيد الذي به نثبت النبوة والرسالة المعجزة.

٨- ما هي المعجزة؟

ما هي المعجزة؟

ذكروا للمعجزة، طبعًا المعجزة هذا مصطلح ليس موجودًا في الكتاب والسنة، هذا المصطلح ليس مصطلحًا شرعيًّا، وأنا ذكرتُ لكم أن المصطلحات الشرعية يجب القول بها حتى ولو لمْ نفهمها، يجب الإيمان بها؛ لأنها جزء من الشرع.

أما المصطلحات التي لا تكون شرعية، لا تجدها في الكتاب والسنة، فهذه المصطلحات لابد أن تستفصل عن معناها وإلا تقع فيما وقع فيه صاحب المصطلح خاصةً إذا كان مصطلحًا وجدته عند المتكلمين، فلابد أن تستفسر عن معنى هذا المصطلح حتى يكون حكمك شرعيًا دقيقًا وأن يكون موقفك بإزاء هذا المصطلح موقفًا شرعيًّا.

لا تخف إن نُسج حول هذا المصطلح من الأساطير، لا، لا تهمك هذه. إذا قال لك مثلًا: هذا يشك في المعجزة، أنا لا أشك في أدلةِ صدق الأنبياء، لا أشك في الآيات، لا أشك في البراهين؛ لأن المصطلح الشرعي الذي يقابل المعجزة الآيات والبراهين. لماذا؟

لأن الآية هي تكون دالةً على المدلول، هناك تلازم بين الدليل والمدلول في الآية، والبرهان دليل قوي قطعي لإثبات هذا الشيء وذاك الشيء، الذي ورد في القرآن والسنة مصطلح الآية والبرهان، أما المعجزة فهذا المصطلح ليس مصطلحًا كما قلتُ واردًا في النصوص.

فما هو المعجزة؟.

المعجزة، الهاء هنا للمبالغة مثل: العلامة، كأن نقول: الشيخ العلامة هو مذكر ليس مؤنث، فالهاء هنا التاء للمبالغة، العلامة أي كثير العلوم، فالهاء هنا والتاء أيضًا للمبالغة، المعجزة الأمر الذي يعجز الخصم عن الإتيان بمثله.

فالقرآن مثلًا معجزة؛ لأن الله - تَبَارَكَ وَتَعَالَى -تحدى العربَ، تحداهم على أن يأتي بعشر سور ثم بسورة، هاه؟ ولم يستطيعوا، ولا زال التحدي قائمًا، أولًا تحداهم أن يأتوا بمثل هذا القرآن ثم تحداهم بأن يأتوا بمثل عشر سور مثله ثم تحداهم بأن يأتوا بسورة، فلا زال التحدي قائمًا.

فالقرآن معجز؛ لأنه أعجز الخصم عن الإتيان بمثله، والمعجزة قالوا: لا تكون معجزةً إلا بشرطين:

الشرط الأول: دعوى النبوة.

والشرط الثاني: التحدي.

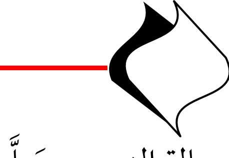
أي معجزة تخلو من دعوى النبوة أو من التحدي فليست معجزة، هي مثلًا قد تكون كرامة؛ لأن الكرامة أيضًا هي من خوارق العادات ولكن ليس فيها تحدي وليس فيها أيضًا دعوى النبوة، واضح؟.

إلى هنا الأمور واضحة ونوعًا ما طبيعية، ومذهبهم كما قلنا أن الطريق الوحيد لإثبات النبوة هو المعجزة.

٩- ذكرُ بعضِ الآيات والبراهين التي تدل على صدقِ الأنبياء والرسل:

نذكر أيضًا مذهب أهل السنة حتى يتضح الموضوع، مذهب أهل السنة أن دلائل النبوة والآيات والبراهين التي تدل على صدق الأنبياء والرسل كثيرة جدًّا، منها ما تسمونه المعجزة.

سنأتي إلى تفسير المعجزة وكيف أن تفسيرهم لها لا يستقيم، ولكن نقول: الأدلة والبراهين التي تدل على صدق النبوة كثيرة جدًّا، منها المعجزة.



من الأدلة: النظر إلى قول الرسول، في حديث هرقل لما وصلته رسالة النبي - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -، وكان في ذلك الوقت في القسطنطينية، كان في الشام، فبحث عن تجار العرب هناك، فكان أبو سفيان - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - قبل الإسلام كان موجودًا، والحديث طويل أخرجه الإمام البخاري في كتاب بدء الوحي في بداية صحيحه.

هرقل لما سأله لم يسأل عن المعجزة، كل الأدلة التي استخلصها هي أدلة تدل على حاله وعلى أقواله وعلى أخباره وعلى أوامره ونواهيه وحالته عمومًا، لم يسأله، لم يقل له: هل جاءكم بمعجزةٍ أعجزكم بها؟ لم يسأل؛ لأن المعجزة كما قلنا: طريق ودليل من الأدلة وليست كل الأدلة.

وهرقل طبعًا كان عنده علم، فلذلك جزم وسبحان الله أراد أنْ يسلمَ ولكن جاهه وما كان عليه من الملك منع من إسلامه، ولو أسلم ذلك الرجل لكان الإسلام أسبق إلى أوروبا من النصرانية.

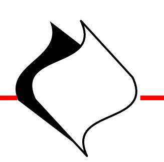
على كل حال أسئلة هذا الرجل تدل على أنه فعلًا كان عليمًا، قبل أن يذهب إلى النبي - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - بمجرد هذه الأسئلة والأجوبة عليها عرف حقًّا أن هذا رسولٌ.

فلذلك نقول: إن المعجزة ليست هي الطريق الوحيد لمعرفة صدق النبوة وصدق الرسالة.

الأدلة كثيرة منها: ما يتعلق بـ -كما قلتُ- أفعاله، وأخباره، وأوامره، ونواهيه.

ذكر الإمام ابن أبي العز - رَحِمَهُ اللَّهُ - في بداية هذا المبحث قال: النبي الصادق هو أصدق الصادقين، والمتنبئ الكذاب الذي يدعي النبوة لا يكون إلا أكذب الكاذبين.

شوف المجتمع مَن يكون أكذب المجتمع؟ أكذب مَن فيه سيدعي النبوة، الذي يكذب على واحد مثله يكون هذا كذاب، فكيف بمَن يدعي أن الله - تَبَارَكَ وَتَعَالَى -أوحى إليه، هذا لا يكون إلا أكذب الكاذبين.



وعادةً الرجل الذي يكون كثير الكذب هذا يكون معروفًا عند الناس، فكيف بمَن وصلت حالته إلى أن يدعي الكذب على رب العالمين، هذا المدعي للنبوة أكذب الكاذبين، والنبي صادق أصدق الصادقين، يعني الفرق بين هذين لا يخفى على العقلاء.

فلذلك أكثر من أسلم من رأى النبي - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -، بمجرد رؤيته وسماع كلامه أسلم، لم يطلبوا منه أن يأتي بشيء معجز أمامهم، فالأدلة كثيرة.

نحن نقول للمتكلمين للأسف كتبهم هي الأصبهانية الذي شرحها شيخ الإسلام، ذكرَ في بدايته أن الدليل على نبوة الأنبياء هي المعجزات، ومعجزة النبي - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - هي القرآن، وشيخ الإسلام أفاض يعني فصّل في هذه القضية في شرح الأصفهانية.

أيضًا له كتاب مستقل كتاب النبوات، ولكنه في أدلة صدق النبوات فصّل فيها في الأصبهانية أكثر.

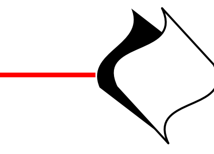
فنحن نقول للأشاعرة: أنتم ضيقتم، حجّرتم واسعًا، الأدلة كثيرة وأنتم حصرتموها في إيش؟ في المعجزات.

والمعجزات هي خوارق العادات، ثم نناقش الأشاعرة أيضًا في المعجزة، قد نجد خللًا حتى في هذا،، حصروا النبوة في المعجزات، ونحن الآن نريد نعرف ما هي المعجزة عندهم. من شروط المعجزة دعوى النبوة، ومن شروط المعجزة التحدي.

١٠- ما هي العادة التي تُخرَق بالمعجزة؟

طيب قالوا: المعجزة هي خوارق العادات. ما هي العادة التي تُخرق بالمعجزة؟ هذه مسألة مهمة جدًّا، بها سنعرف الفصل بين مذهب أهل السنة وبين مذهب الأشاعرة.

أنا أرجو من الإخوة أن يهتموا معي في هذه المسألة؛ لأنها مسألة لا تُذكر كثيرًا، هذه المسألة من النادر أن يُتعرض لها، وهي مسألة مهمة جدًّا ولن تُفهم إلا أن تكونوا كلكم آذانًا صاغية، ولا تلوموني إذا فاجأتُ بعضكم ببعض الأسئلة.



نحن عرفنا أن الأشاعرة حصروا الطرق التي تدل على صدق النبوات حصروها في المعجزة، سنعرف بالتفصيل الذي نذكر أن المعجزة عندهم، عندهم خلل في معرفة المعجزة، بل لا يمكنهم إثبات المعجزة.

المعجزة هي خوارق العادات، والعاداتُ ما هي العادات التي بخرقها تكون معجزة؟ تختلفُ بالنسبة للسحرة، أليسوا بالنسبة لنا الأمور التي يأتون بها خوارق العادات، هاه؟ هي بالنسبة لنا خارج عن المعقول، أليس كذلك؟ بالنسبة للطلاسم وبالنسبة لما يأتي به المنجمون، بالنسبة لما نجده عند هؤلاء، هي كلها بالنسبة لنا خوارق العادات، أليس كذلك؟ إذن هل هي مثل المعجزة؟.

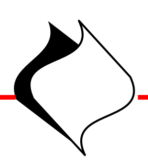
عند الأشاعرة ليس هناك فرق بين المعجزة وبين السحر في حقيقته، الفرق بينهما فقط بدعوى النبوة، وأن الساحر إذا ادعى النبوة سيُسلب سحره، هكذا يقولون.

طبعًا هذا خلاف الواقع كثير من السحرة ادعوا النبوة ولم يُسلبوا السحر. لماذا لجئوا إلى هذا الشيء؟ لأن هناك مسألة هم ضلوا فيها، وهي مسألة السببية.

ما هي المعجزة؟ هي الأمر الذي هو خارج عن السنن الكونية، السنن الكونية الله -تَبَارَكَ وَتَعَالَى -ربط المسببات بالأسباب وجعل لكل شيء خاصية وبها تُعرف، وبها تمشي الأمور، فمثلًا: النار فيها إحراق، والثلج فيها برودة، وهذا تشربخ،، والعقل تأكله فـ،،، وهكذا، فهذه كلها أسباب.

أي شيء يخرج من السنن الكونية المعروفة، فمثلًا رأينا نارًا تبرِّد، هذه خارجة عن السنن الكونية.

رأينا حجرًا يطير، هذا خارج عن السنن الكونية. طبعًا سنأتي إلى خوارق الشياطين؛ لأننا سنراهم أيضًا يطيرون، هذه كلها من الشياطين هم الذين يطيرون، ولكن بدون أي سبب وبدون أي تصرف إذا رأينا هذا الآن يطير هذا إيش؟ خارج عن السنن الكونية.



مَن لا يثبت السنن الكونية لا يمكنهم إثبات المعجزة. لماذا؟ لأن المعجزة أصلًا خرق للسنن الكونية. واضح؟.

خروج ناقة من صخرة أليس هذا خرقًا، هاه؟.

نبع الماء من بين الأصابع هكذا، خرق للسنن الكونية، أليس كذلك؟.

انشقاق القمر، وهكذا.

وعُدَّ دلائل النبوة للإمام البيهقي طُبعت في ست مجلدات، والإمام البخاري لما جاء إلى هذه المسألة ذكر فيها أحاديث كثيرة جدًّا، ذكر فيها الأحاديث التي تدل على المعجزات والأحاديث التي تدل على الكرامات؛ لأن إثبات الكرامة فيها صدق النبي؛ لأن هذه الكرامة كانت له لأنه يصدق بنبوة هذا النبي ولأنه يتبعه.

فمثلًا الكرامة التي وقعت لأبي بكر - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ -، الأكل الذي وهم يأكلون وهو يبقى كما هو ذكرها الإمام البخاري. هذه كرامة، والكرامة التي كانت لمريم هذه كرامة.

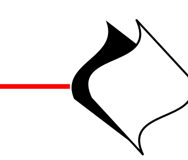
والكرامة أيضًا فيها خرق للعادات، ولكن الفرق بين الكرامة والمعجزة سيأتي.

إذًا المعجزة هي خرق للسنن الكونية، أليس كذلك يا شباب؟.

١١- الأشاعرة وإنكارُ السَّببية:

طيب، الأشاعرة عندهم مذهب وهو معروف عندهم، إنكار السببية، هم يرون أن الأسباب لا تنتج المسببات وأن المسببات ليست للأسباب، وأن العلاقة بين الأسباب والمسببات علاقة اقتران، واضح؟ فأنتَ لما تقرِّب هذا للنار ما الذي يحصل؟ هاه؟ يحرقه، أليس كذلك؟ هم ماذا يقولون؟ هذا الاحتراق حصل عنده ليس به لم يحصل بالنار وإنما حصل عنده، والنار والثلج كلها مستوية في الأوصاف.

هذا شيء غريب، هذا مذهبهم ترى، نفي السببية، وهذه المسألة هم يطولون فيها، ويشرحونها كما شرحها الغزالي وغيره، نفي السببية.



لماذا؟ يقولون: نرد على الفلاسفة؛ لأن الفلاسفة يرون أن العلاقة بين السبب والمسبب علاقة تلازمية، لا يمكن أن يتخلف الأثر، ونحن عندنا أن العلاقة بينهما ليست تلازمية ولكنها ضرورية، وهذه العلاقة يسلبها الله - تَبَارَكَ وَتَعَالَى - متى ما شاء، واللهُ - تَبَارَكَ وَتَعَالَى - هو الذي جعل النار تحرق، هذا الأثر مَن جعله في النار؟ اللهُ - تَبَارَكَ وَتَعَالَى -، ولذلك سلبها ﴿قُلْنَا يَانَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَى إِبْرَاهِيمَ (٦٩)﴾ [الأنبياء: ٦٩].

ما احترق إبراهيم عليه السلام، لماذا؟ لأن الله - تَبَارَكَ وَتَعَالَى -سلب الأثرَ، فالأثرُ السبب والمسبب كلاهما من الله - تَبَارَكَ وَتَعَالَى -هو الذي ربط هذه الأمور بالأسباب، المسببات ربطها بال،، فلما نرى شيئًا خارجًا عن هذه السنن، هذا سيكون إيش؟ فيه تصديقًا للنبي.

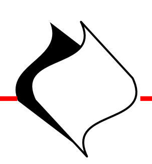
مثلًا جاء النبي - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - ومن معجزاته هذا القرآن، ليس معهودًا في الناس أن يكون هناك كلامٌ يعجز عنه الناس كلهم، جنهم وإنسهم، ﴿قُلْ لَئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا (٨٨)﴾ [الإسراء: ٨٨].

هذا غير معهود، هذا ليس في السنن الكونية.

أيضًا معجزاته - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -؛ حنين الجزع وبكاؤه بصوتٍ سمعه الصحابة، وأيضًا تكثير الطعام، وأيضًا نبع الماء من بين أصابعه، كثيرة جدًا.

هذا كله خرق للسنن الكونية، اللهُ - تَبَارَكَ وَتَعَالَى -خرق هذه السنن ليدل على أن هذا النبي أنا أصدقه فيما يقول.

المعجزة خلاصتها كأن الله - تَبَارَكَ وَتَعَالَى - يقول: أنا أصدقه فيما يقول وفيما ينسبه إلي بدليل أنني أكرمته بهذه المعجزات.



ومَن ينكر هذه السنن السنن الإلهية هي الربط بين الأسباب والمسببات، إذا أراد أحدنا أن يكون له ولد، أول ما يفكر في ماذا؟ هاه؟ السلسلة هذه هكذا الله - تَبَارَكَ وَتَعَالَى -ربط شيئًا فشيئًا وهكذا.

وهم عندهم لا، ليس هناك ربط بين أمرين، وليس هناك تلازم، والأشياء تكون عندها لا بها، الأشاعرة يقولون.

طبعًا على قولهم لا يمكن أن تثبت السنن الإلهية، فكيف يثبت المعجزة؟! قالوا: نحن أنكرنا السببية حفاظًا على المعجزة، حتى نثبت المعجزة. لماذا؟ لأننا إذا قلنا بالسببية، إذا قلنا أن المسببات هي بالأسباب لا يمكن أن تثبت المعجزة. واضح يا شباب؟.

فنقول لهم: هذا على قول الفلاسفة؛ لأن الفلاسفة لا يؤمنون بالله - تَبَارَكَ وَتَعَالَى - ، الأمور عندهم هكذا يفسرونها كما يريدون، هاه؟.

هذه الآثار، هذه الأسباب والمسبباب كلها من الله عز وجل، وهو الذي جعل فيها هذه الآثار، وهو يسلبها حينما يريد، وبهذا السلب يكون خرقًا للسنن، وهذه هي المعجزة، واضح؟.

إذًا على قولهم لا يمكننا أن نثبت المعجزات.

الآن الإيمان بالأنبياء ربطناه بالمعجزات، والمعجزات خلطنا فيها بهذا الشكل، إيش النتيجة؟ لأن عندهم ليس هناك فرق بين السحر والمعجزة، ليس هناك فرق في حقيقته وعندنا هناك فرق؛ لأن السحر ليس فيه خرق للعادات، ليس فيه خروج عن السنن الإلهية، كل ما فيه يلعب بأعيننا ويلعب ببعض الأمور. أبدًا، لا يغير شيئًا إلى شيءٍ، كل ما فيه يلعب بالأعين، أو يكون هناك شيء بإعانة أو مساعدة الشياطين مثل ما يحصل منهم من الطيران في الهواء وهكذا، نجدها عندهم.

إذًا حصر أدلة النبوة على المعجزات، والخلط فيها بهذا الشكل بهذا نعرف صدق كلام شيخ الإسلام أنه يقول: أنتم بهذا ضيعتم أيضًا هذا الأصل، على أصلكم لا يمكن أن نثبت



المعجزة ولا يمكن أن نثبت صدق النبوة، ولا يمكن أن نفرِّق بين ساحر وبين نبي؛ لأن ما تذكرونه من أن الساحر عندما يدعي سيُسلب، هذا كلام ليس عليه دليل، كثير من السحرة ادعوا النبوة ولم يُسلب السحر!.

طبعًا هذه مدار علم الكلام، علم الكلام الذي قدسوه وجعلوه علم العقيدة، سنجد أنه في كل أصلٍ سنجد أنه لا يمكنه أن يثبت هذا الأصل.

الآن الإيمان بالأنبياء والرسل كله متوقف على المعجزة، والمعجزة لا فرق بينها وبين السحر، فماذا استفدنا من الـ،،؟.

إذًا حصرُ الأدلة في المعجزة خطأ، وكلامهم في السببية خطأ، وكلاهم في المعجزة أيضًا خطأ، وعلى كلامهم لا يمكننا أن نفرِّق بين الكذاب وبين النبي الصادق.

١٢- شرحُ قول المصنف: "وإنه خاتم الأنبياء":

"وإنه خاتم الأنبياء". كون النبي - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - خاتم الأنبياء هذا مجمعٌ عليه بين الأمة، ذكر الإمام ابن عبد البر وابن حزم - رَحِمَهُ اللَّهُ - ذكروا أن هذه المسألة عليها إجماع بل كثير.. هذه المسألة مجمع عليها بين الأمة.

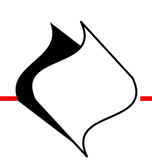
خاتَم الأنبياء، وخاتِم الأنبياء، هذه أيضًا فيها بكسر التاء وبفتح التاء. ﴿مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِنْ رِجَالِكُمْ وَلَكِنْ رَسُولَ اللَّهِ وَخَاتِمَ النَّبِيِّينَ﴾ [الأحزاب: ٤٠]، ﴿وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ﴾ قراءتان.

﴿وَخَاتَمَ﴾ قراءة عاصم وحده، وهي التي نقرأ بها في المصحف، هذه قراءة عاصم وحده.

﴿وَخَاتِمَ﴾ هذه قراءة بقية السبعة.

ذكر الشيخ صالح آل الشيخ أن هذه هي قراءة الطحاوي فلذلك هو ضبطها بالكسر. تبعًا للمؤلف الطحاوي.

١٣- معنى كلمة الخاتِم:



طبعًا الخاتِم بالكسر. فاعل من ختمَ، ختمَ يختمُ ختمًا، فهو خاتِم؛ أي ختمَ الشيء، فهو آخره، مَن يختم الشيء يكون آخره. خاتم النبيين يعني هو آخره كما في الحديث: «**والعاقب الذي ليس بعده نبي**»، هذا معنى الخاتِم.

أما إذا كان بفتح التاء، فمعناه خاتَم بمعنى الطابع؛ لأن مَن يكتب الرسالة يتبع ويختم في آخره، فكأن به خُتم النبيون، فكلاهما معناهما متقارب.

١٤– ذكرُ بعضِ الأدلة على أن النبي محمد – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – هو خاتم الأنبياء:

والأدلة على ذلك أيضًا كثيرة جدًّا ذكرها الشراح كلهم، من ذلك: قول النبي – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ –: «**فُضلتُ على الأنبياء بستٍّ**»، وذكر في الأخير: «**وأُرسلتُ إلى الخَلق كافة، وخُتم بي النبيون**». رواه مسلم من حديث أبي هريرة.

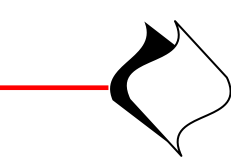
أيضًا حديث: «**وإنه سيكون من أمتي كذابون ثلاثون، كلهم يزعم أنه نبي، وأنا خاتَم النبيين أو خاتِم النبيين، لا نبي بعدي**». متفق عليه أيضًا.

١٥– الإيمانُ بانقطاع الوحي من السماء:

هنا أيضًا مسألة تتعلق بختم النبوة، مسألة الوحي بختم النبوة نعتقد ونؤمن أن الوحي من السماء أيضًا انقطع، فمَن يدعي أنه يُوحى إليه بعد النبي – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – فهذا كفر يخرج من الملة.

وما أكثر مَن يدعي هذه الدعوى، وأنه يسمع من الله مباشرةً، وأنه يكلمه مباشرةً، هذه الدعوى كثيرة جدًّا، مَن يدعي هذه الدعوى فليس بمؤمنٍ بكون النبي – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – خاتم الأنبياء، وبالتالي ليس مؤمنًا بهذا الركن أصلًا، لا يُعتبر مؤمنًا بهذا الركن الذي هو الإيمان بالأنبياء والرسل.

في حديث أم أيمن الطويل من رواية أنس بن مالك – رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ –أن أبا بكر – رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ – قال لعمر – رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ –: نذهب إلى أم أيمن نزورها كما كان يزورها النبي – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ –. فلما انتهى إليها بكتْ، قالا: ما يبكيكِ؟ فذكرتْ في كلامها



أنه لا تبكي لأن الله – تَبَارَكَ وَتَعَالَى –اختاره إليه، ولكن أبكي أن الوحي قد انقطع من السماء.

هكذا قالت، أنا أبكي لانقطاع الوحي من السماء؛ لأن بموته – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – انقطع الوحي من السماء، فهيجتهما على البكاء، فجعلا يبكيان معها. رواه مسلم.

هذه المسألة أيضًا من توابع الإيمان بختمِ النبوة.

١٦– أشهرُ مَنِ ادَّعى النبوة في العصور المتأخرة:

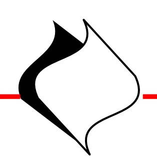
كما أخبر النبي – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – بأن هناك كذابون طبعًا في الحديث " **ثلاثون كذابون** " وهؤلاء أشهرهم، وإلا الكذابون كُثُر.

من أشهرهم في العصور المتأخرة: غلام أحمد القادياني الهندي، هذا كان ادعى المهدية، أنه المهدي، ثم تطور أمره وادعى أنه رسول ولكنه قال ليس رسولًا بمنزلة الرسل الآخرين ولكنه أيضًا منهم، ثم في الأخير قال: هو نبي من الأنبياء وإنه أفضل الأنبياء، وكان في عصره علماء كثر من أشهرهم الشيخ ثناء الله الأمرتسري، هذا كان يُلقب بشيخ الإسلام، من مشايخ أهل الحديث في الهند، هذا طلبه للمباهلة، وبعد المباهلة لم يكمل سنةً، فهلكَ.

من مخازيه أنه قال لأمته طبعًا له أمة، ولا زالوا للأسف، واسمهم الأحمدية، هكذا يُسمون، ولهم قنوات للأسف الشديد، وخاصةً في أوروبا لهم وجود، ولهم مكاتب في إسرائيل وفي أوروبا وفي أمريكا، والذي استغربت منه أن لهم قنوات.

قال لأمته: أنا أريد أن أؤلِّف كتابًا، وهذا الكتاب سيكون في خمسين مجلدًا، وبالتالي هذا المشروع يحتاج إلى تمويل، فأعطوه، صحابته جمعوا له، ألّف كتيبًا في خمس مجلدان يعني المجلد منه هكذا، وانتظروا أن يكمل، قالوا: أين الباقي؟ هذا النبي قال لهم: الفرقُ بين خمسة وخمسين صفرًا، الصفر أنتم حطوه، أنا جبت خمسة وأنتم حطوا الصفر!

هذا نبي! وأحسن ما كُتب عنه كتاب القاديانية للشيخ العلامة إحسان إلهي ظهير – رَحِمَهُ اللَّهُ – ، ولهم مقر أيضًا في باكستان، حدثني أحد مَن ذهب إليه أن هذا المقر كبير جدًّا



لا يدخله أحد، هذا الذي يحدثني دخل بحجة أنه آمن به، يقول: كنتُ هناك حوالي سنتين ومع ذلك لم أصل إلى المركز، يقول: هناك الذي يؤمن بهذا النبي الكذاب عندهم بنات وعندهم قصور وعندهم ،، هذا تُوزع حسب مكانة هذا الذي يؤمن، هذا موجود في باكستان، وهذا المقر يكون هناك مؤتمرًا سنويًا لأهل الحديث يردون عليهم.

والسلفيون لهم جهود هناك ما شاء الله جهود جبارة للرد على هذه الفرق الكثيرة، هناك فرق القرآنيون، وهؤلاء الأحمديون لهم وجود هناك كُثُر.

١٧- شرح قول المصنف: "وإنه خاتم الأنبياء، وإمام الأتقياء":

"**وإنه خاتم الأنبياء، وإمام الأتقياء**". الأتقياء: هم صفوة هذه الأمة، والنبي - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - إمامهم.

١٨- شرح قول المصنف: "وسيد المرسلين":

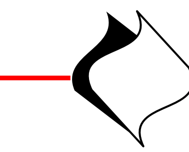
"**وسيد المرسلين**". سيد المرسلين: هذا تابع لكونه أفضلهم، النبي - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - هو سيد المرسلين؛ لأنه أفضلهم.

ومما ثبتَ عنه: «**أنا سيد ولد آدم يوم القيامة، وأول مَن ينشق عنه القبر، وأول شافع وأول مشفع**». رواه مسلم من حديث أبي هريرة - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ -.

والنبي - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - هو أفضل الأنبياء، أفضل الأنبياء والرسل هم أولوا العزم من الرسل وهم خمسة، وأفضلهم الخليلان، وأفضلهما النبي - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -.

وهذا التفضيلُ ثابتٌ أيضًا يعني التفاضل بين الأنبياء عمومًا ثابت بأدلة كثيرة، منها: ﴿تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ مِنْهُمْ مَنْ كَلَّمَ اللَّهُ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَاتٍ وَآتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيِّنَاتِ﴾ [البقرة: ٢٥٣].

١٩- الردُّ على بعض الأحاديث المشكلة في تفضيل النبي - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - على غيره من الأنبياء:



هنا في هذه الآية ذُكر رسولان ممن فُضل بشيء معين، وهناك أحاديث قد تشكل في هذا التفضيل، منها: قول النبي - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - : «**لا تفضلوني على موسى**».

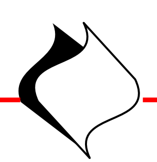
وقوله - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - : «**لا تفضلوا بين الأنبياء**». متفق عليه، هذا الحديث متفق عليه من حديث أبي هريرة - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ -.

طبعًا العلماء ذكروا أجوبة كثيرة منها: أن هذا الحديث؛ قوله: «**لا تفضلوني على موسى**» له سبب، والسبب معلوم أن أحد اليهود قال لأحد الصحابة: والذي فضّل موسى على الأنبياء، فلطمه هذا الصحابي، وقال: المفضل هو نبينا محمد - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -، فلما جيء بهما إلى النبي - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -، قال: «**لا تفضلوني على موسى**»، والحديث طويل.

يعني إذا كان التفضيل من قبيل لأجل العصبية وهذا، وفيه شيء من التنقص لبعض الرسل والأنبياء، قال: لا يجوز.

وأيضًا هناك حديث: «**لا تفضلوني على يونس**»، وهذا الحديثُ تجدونه في كتب المتكلمين، يذكرونه كثيرًا في مبحث إنكارهم للعلو، يقولون: النبي - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - خصَّ يونس بهذا، وقال: «**لا تفضلوني على يونس**»؛ لأن يونس عليه السلام هو كان في قاع البحر، والنبي - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - أُسري به إلى فوق السماوات، فالنبي - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - كأنه يقول: كوني هناك، وكونه هناك تحت، نحن في منزلة واحدة من الله - تَبَارَكَ وَتَعَالَى - ، ليس أحدنا أقرب من الثاني، مع أن هذا اللفظ لا يوجد في كتب الأحاديث: «**لا تفضلوني على يونس**»، بهذا اللفظ لا يُوجد، والموجود: «**لا ينبغي لأحدٍ أن يقول: أنا خير من يونس بن متى**»، وهذا الحديث متفق عليه.

وهذا صحيح، هل يجوز لنا أن نفضل أنفسنا على يونس؟! لأن بعض الناس قد يلحظ أنه لامه الله - تَبَارَكَ وَتَعَالَى - ، وأصابه ما أصابه، فأنا خير منه لا، لا ينبغي لأحدٍ أن يقول أنا خيرٌ من يونس بن متى.



٢٠- شرحُ قول المصنف: "وحبيب رب العالمين":

ثم قال: "**وحبيب رب العالمين**". طبعًا هذا الإطلاق لا شك أن النبي - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - حبيب رب العالمين، ولكن هذا الإطلاق أقل مما يجب للنبي - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -؛ لأنه ثبتت له الخُلَّة، والخلة مرتبة فوق المحبة.

المحبة لها مراتب ذكرها ابن أبي العز، منها: المحبة وفوقها الخلة، ثبت للنبي - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - مرتبة الخلة، فقوله حبيب رب العالمين هذا أقل مما ،، يبدو أنه اتبع ما جاء في بعض الآثار عن بعض السلف وإلا هذا أقل من مرتبة النبي - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -.

٢١- محبةُ الله عز وجل، ومحبةُ رسوله - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - بين الغلو والجفاء:

فيما يتعلق بالحب والمحبة، فهناك طرفان ووسط:

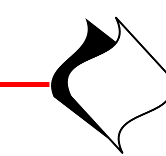
بعض الناس أثبتوا لجانب العبد ولجانب النبي - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - وأيضًا لجانب الله - تَبَارَكَ وَتَعَالَى - أثبتوا كل مراتب الحب، فتجد أحدهم يقول: أنا أعشق الله عز وجل، هذا فيه إفراط، ولا يجوز أن تطلق هذا اللفظ على الله عز جل؛ لأن هذا اللفظ فيه ما فيه؛ لأن العشق لا يكون إلا ببعض الشهوة، فلا يجوز إطلاقه على الله عز وجل، لا يجوز إطلاقه أولًا لأنه لا نجده في الكتاب والسنة، هذا الباب باب توقيفي، ولا يجوز أيضًا لما فيه من إساءة الأدب. هذا جانب، جانب المتصوفة.

الجانب الآخر: جانب الجهمية، قالوا: الله - تَبَارَكَ وَتَعَالَى -لا يُحِب ولا يُحَب؛ لأنه لا مناسبة بينه وبين الخلق.

والصحيح أن الله - تَبَارَكَ وَتَعَالَى -يحب عباده المؤمنين، ويحبه عباده المؤمنين ﴿يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ﴾ [المائدة: ٥٤] في آية واحد، المحبة من الجانبين.

٢٢- قولُ المصنف: " وكلُّ دعوةِ نبوةٍ بعدَه فغيٌّ وهوَى"، وحُكْمُ مَن يدَّعي النبوة:

ثم قال: " **وكلُّ دعوة نبوةٍ بعدَه فغيٌّ وهوى**".



غيٌّ؛ لأنه ضلال، وهوى؛ لأنه لا شبهة عنده، ولذلك ذكر العلماء أن مَن يدعي النبوة يجب قتله؛ لأنه زنديق، واختلفوا في قبول التوبة، هل تُقبل توبته أو لا؟ والصحيح أنه لا تُقبل توبته ظاهرًا حتى بالنسبة لباطنه بينه وبين الله - تَبَارَكَ وَتَعَالَى -قد يقبله الله عز وجل، ولكن الظاهر لا تُقبل توبته ويجب قتله فورًا حتى ولو تاب، هذا حكمه حكم مَن يدعي النبوة، لذلك يكون فغيٌّ ضلال وهوى؛ لأنه لا شبهة عنده فضلًا عن أن يكون عنده إيش؟ دليل.

٢٣- شرحُ قول المصنف: "وهوَ المبعوثُ إلى عامةِ الجن":

ثم قال: " **وهوَ المبعوثُ إلى عامةِ الجن** ".

يبدو أني أخطأتُ لما قلتُ: وإنه خاتم الأنبياء، وقلتُ: إنه نقل الإجماع ابن عبد البر وابن حزم، لا هذه المسألة بالنسبة لكونه خاتم الأنبياء، الإجماع نقله الجميع، هذه المسألة التي نذكرها الآن وهو المبعوث إلى عامة الجن، هذه هي التي نقل فيها ابن عبد البر وابن حزم، وهناك مَن خالف في هذه المسألة، ولكن الصحيح أن النبي - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - مبعوث إلى الجن والإنس.

والأدلة كثيرة منها قوله سبحانه: ﴿وَإِذْ صَرَفْنَا إِلَيْكَ نَفَرًا مِنَ الْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ الْقُرْآنَ﴾ [الأحقاف: ٢٩] إلى آخره، وهناك سورة مستقلة سُميت بالجن.

٢٤- شرح قول المصنف: "وكافة الورى":

"**وكافة الورى**". كون النبي - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – مبعوثًا إلى كافة الورى أيضًا له أدلة كثيرة، من أدلتها المهمة قول النبي - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – فيما رواه أبو هريرة - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ –ورواه مسلم: «**والذي نفس محمد بيده، لا يسمع بي رجل من هذه الأمة يهودي ولا نصراني ثم لا يؤمن بي إلا دخل النار**».

بعض الناس يقولون: كل الملل السماوية يعني والأدلة في هذا أيضًا كما قلتُ كثيرة جدًّا.

من أبرز مَن خالف في هذا النصارى، قالوا: النبي محمد - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - مرسل إلى العرب خاصةً، يقولون: هو نبي ورسول، لا يخالفونا في هذا ولكنهم يقولون: هو مرسل إلى العرب خاصة.

وقد ناقشهم شيخ الإسلام ابن تيمية في " **الجواب الصحيح على مَن بدّل دين المسيح** " ناقشهم من وجوده كثيرة منها: يقول: ما دام أنكم صدقتم أنه نبي ورسول فكل ما يقوله يجب أن تقبلون، وهو يدعي -وهذا هو الصحيح- أنه لجميع الناس، فكيف تصدقونه في جزئية وتكذبونه في جزئية؟! إما أن تقولوا: هو ليس نبي ولا رسول، ولكنكم تقولون: نبوته صحيحة ورسالته صحيحة ولكنها خاصة بالعرب، فتسليمكم بنوبته ورسالته هذا يكذبكم؛ لأن النبي الذي أنتم تثبتون صدقه لا يمكن أن يكون كذابًا.

٢٥- "شرح قول المصنف: "بالحق والهدى وبالنور والضياء":

" وهوَ المبعوثُ إلى عامةِ الجن وكافةِ الورى بالحقّ والهدى وبالنورِ والضياء".

هذه كلها أوصاف للقرآن، وللحق الذي جاء به النبي - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -.

نكتفي بهذا القدر، وصلَّى الله وسلم على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه وسلم.